بلاغة الجمهور والمعارف النقدية
دراسة في خصائص النقد من الفضيلة إلى الاستجابة

د. عماد عبد اللطيف

جامعة قطر

emadaaeg@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/07/01	تاريخ القبول: 2021/07/24	تاريخ النشر: 2021/08/01

***Abstract*:**

This article explores the concept of critique in the Rhetoric of Audience (RA) in comparison to well-established critical disciplines such as Critical Discourse Analysis (CDA). The article is divided into two parts; the first identifies three characteristics of critique in RA: (1) it combines knowledge and action; (2) it takes the form of a rhetorical response, (3) It is a virtue of resisting communication distortions. These characteristics are based on recalling the linguistic meanings of the term Critique and benefit from contemporary philosophical concepts of criticism, particularly Foucault's concept of criticism as the virtue of resisting blind obedience. The second part of the article explores the position of RA in Habermas's critical knowledge classification. It reviews Habermas's classification of knowledge into natural, hermeneutic, and critical, proposing that AR falls in an undefined intersection of the three categories. It concludes by examining the peculiarities of critique practice in AR compared to CDA that include the concept of practiced critique, its corpus, purpose, and target audiences.

Keywords: Critique, action, rhetorical response, virtue, resistance, Rhetoric of Audiences, Critical Discourse Analysis, Critical knowledge.

المنارة للاستشارات

ww

ملخص البحث

يستكشف هذا المقال خصوصية مفهوم النقد في بلاغة الجمهور، مقارنة بحقول معرفية نقدية راسخة مثل التحليل الناقد للخطاب. ينقسم المقال إلى جزأين؛ يبلور أولهما خصائص النقد في بلاغة الجمهور، ويحددها في ثلاثٍ، هي (1) جمعه بين مكونين أحدهما معرفي والآخر أدائي، (2) اتخاذه شكل الاستجابة البليغة، (3) كونه فضيلة مقوِّمة لتشوهات التواصل. يستند هذا التحديد لخصائص النقد في بلاغة الجمهور إلى الجذور اللغوية للكلمة في أصلها العربي واللاتيني معًا؛ للبرهنة على أن ممارسة النقد كانت تعني إنجاز أفعال مادية ملموسة، علاوة على الإفادة من مفاهيم فلسفية معاصرة للنقد، لا سيما مفهوم فوكو للنقد بوصفه فضيلةَ مقاومةِ الطاعة العمياء، ودمجهما مع مفهوم الاستجابة البليغة.

يستكشف الجزء الثاني من المقال موقع بلاغة الجمهور من حزمة العلوم النقدية عند هابرماس، منطلقًا من نقد تقسيم هابرماس للمعارف إلى طبيعية وتأويلية ونقدية، مقترحًا وقوع بلاغة الجمهور في منطقة تقاطع المعارف الثلاث، وصولًا إلى فحص خصوصيات الممارسة النقدية في بلاغة الجمهور مقارنة بالتحليل الناقد للخطاب. ويحددها في ثلاث، هي: (1) هوية النقد الذي تمارسه بلاغة الجمهور، (2) مدونة النقد، (3) غايته، وجمهوره.

الكلمات المفاتيح: النقد، الفعل، الاستجابة البليغة، الفضيلة، المقاومة، بلاغة الجمهور، التحليل الناقد للخطاب، المعارف النقدية.

مدخل

في عبارة دالة يصف إيمانويل كانط Kant عصرَه بأنه "عصر النقد"[1] . كتب فيلسوف التنوير هذه العبارة في ثمانينيات القرن الثامن عشر بعد أن أسَّس مشروعًا معرفيًا متمحورًا حول النقد critique، بفضل أعماله "نقد العقل العملي"، و"نقد العقل الخالص"، و"نقد ملكة الحُكم"[2]، بعد ما يقرُب من قرنين ونصف القرن ربما يكون وصف كانط لزمنه ما يزال صالحًا لوصف زمننا إلى حد كبير. فقد تعددت هويات النقد؛ إذ يمكن إدراكه بوصفه نظرية، أو منهجًا، أو حقلًا معرفيًا، أو ممارسة عقلية، أو ممارسة اجتماعية وسياسية وثقافية. واتسعت

المنارة للاستشارات
ww

مجالات اشتغاله لتشمل جُلَّ سياقات التواصل الإنساني، حتى غدا خصيصة مائزة للعصر الحديث.

قدَّم التراكم المعرفي حول النقد أجوبة مهمة حول ماهيته، لكنه –في الآن نفسه - فتح الباب أمام تساؤلات أكثر تنوعًا وعمقًا، ويلاحظ رفنسو "أن النقد أصبح أكثر إشكالية وغموضًا. لقد أصبح أقرب أن يكون مشكلة تطرح العديد من التساؤلات، مثل: كيف نمارس النقد الآن؟ ما أشكاله؟ وما التوجهات نحوه؟"[3].

لقد اتسع الاهتمام بالنقد حتى غدا محور حزمة من العلوم، تحمل اسمه، وتُعرَف به، هي العلوم النقدية. فبحسب هابرماس، تُنتِج هذه العلوم معرفةً نقدية critical knowledge، هدفها تحرير البشر من تشوهات التواصل الإنساني. وقد أعلنت بلاغة الجمهور منذ لحظة تدشينها انتسابها إلى المعارف النقدية التحررية. وعلى الرغم من أنها تراجع طبيعة ارتباطهما، على نحو ما سنرى لاحقًا، فإنها تُدرك - في الآن نفسه- قوة هذا الارتباط. وهو ما يُعزز جدوى تخصيص هذا المقال لاستكشاف الأبعاد النقدية لبلاغة الجمهور. فعلى الرغم من أن ممارسة النقد عولجت في الفلسفة الغربية بوصفها نشاطًا فرديًا ذا طابع نخبوي، يسعى هذا المقال إلى استثمار هذا التراث الفلسفي حول مفهوم النقد في إطار بلاغة الجمهور، التي تشتغل على استجابات جماعية أو فردية، يُنتجها عموم الناس، في سياقات التواصل العمومي، وتطويعه لخدمة غاية بلاغة الجمهور في تمكين الجماهير، بواسطة دعم قدرتها على إنتاج استجابات بليغة.

يدرس المقال الهوية النقدية لبلاغة الجمهور؛ فهو يفحص الملامح النقدية في بلاغة الجمهور، وعلاقاتها بالحقول النقدية الأخرى، لا سيما التحليل الناقد للخطاب، ويستكشف ما تضيفه بلاغة الجمهور إلى التوجهات النقدية في العلوم الإنسانية؛ ويحددها في ثلاثة إسهامات جديدة؛ الأول: إدراك استجابات الجمهور بوصفها خطابًا، والثاني: إضافة بُعد تحليل الاستجابة إلى أبعاد تحليل الخطاب في المقاربة الأهم للتحليل الناقد للخطاب؛ أعني مقاربة فيركلف، والثالث:

المنارة للاستشارات

تقديم مفهوم (الأفعال النقدية)، الذي تبتغي بلاغة الجمهور تدشينه، بواسطة ترسيخ مفهوم الاستجابة البليغة الذي أقترحه بوصفه جسرًا بين المعرفة النقدية والفعل النقدي.

لإنجاز الأهداف السابقة يقوم البحث بصياغة مفهوم للنقد بوصفه فعلاً، فاحصًا جذور المصطلح في اللغتين العربية واللاتينية، التي مثلت جذرًا للاستعمالات الحديثة له في الفلسفة الغربية تحديدًا. يبرهن فحص الدلالات المعجمية للجذور المستعملة في الدلالة على النقد على أن ممارسة النقد كانت تعني إنجاز أفعال مادية ملموسة، استنادًا إلى أفعال التمييز والتقييم. كما يدعم تصور النقد بوصفه فعلا بوساطة الإفادة من مقاربات معاصرة للنقد، مثل مقاربة فوكو التي تنظر إلى النقد بوصفه فضيلة، وتصور هابرماس للفعل النقدي، ويربط هذين التصورين بإدراك بلاغة الجمهور لهويتها الذاتية، قبل أن ينتقل إلى فحص ما تقدمه بلاغة الجمهور للمعارف النقدية الراهنة. وينقسم البحث، من ثمَّ، إلى جزأين؛ يبلور أولهما هوية للنقد بوصفه فعلا، وخطابًا، وفضيلة. ويحدد الثاني موقع بلاغة الجمهور من حزمة المعارف النقدية عند هابرماس، منطلقًا إلى نقد تقسيمه للمعارف إلى تقنية وتأويلية ونقدية. علاوة على استكشاف خصوصيات الممارسة النقدية لبلاغة الجمهور مقارنة بالتحليل الناقد للخطاب.

1. ماهية النقد في بلاغة الجمهور: من المعرفة إلى الاستجابة

1.1. النقد بوصفه فعلًا

للوهلة الأولى يبدو النقد عملية عقلية معرفية، إذ يصوَّر بوصفه فعلا ذهنيًا بالأساس، يتطلب تشغيل (الذهن)، لاستكشاف السلبيات، والإيجابيات أحيانًا. وبغض النظر عن الحقل المعرفي الذي يُمارس النقد فيه، فقد كان المكون العقلي المعرفي للنقد الأكثر حضورًا ومحورية، على نحو ما نرى في دلالات النقد في ثلاثة علوم أساسية هي فقه اللغة، والمنطق، ودراسات الشعرية. وبحسب رفنسو Raffnsøe، في مقال مهم حول المنعطف النقدي في عصر النقد، فإن "النقد في فقه اللغة كان يُحيل إلى القدرة على تمييز المصادر الحقيقة القديمة من الزائفة، أما في المنطق فقد استُعمل النقد للإشارة إلى القدرة على التحليل والتقييم التي مكنت من تطبيق المنطق. وفي دراسات الشعرية poetics ، كان النقد يعني القدرة على تطوير أحكام قيْمة أثناء ترتيب أعمال

المنارة للاستشارات

أدبية معينة بحسب جودتها أو رداءتها"[4]. والنقد في العلوم الثلاثة السابقة – بحسب رفنسو- هو عملية عقلية تشتمل على قدرات التمييز والتحليل والتقييم.

على الرغم من محورية المكون العقلي المعرفي للنقد، فإن النقد في جذره اللغوي في اللغات اللاتينية والعربية ينطوي على مكون أدائي سلوكي جوهري. فالجذر اللغوي للمفردات الدالة على النقد في اللغات الأوروبية الحديثة هو كلمة Kritik اللاتينية، التي تشير "إلى رد الفعل [أي] (ما الذي يُمكن أن يُفعَل)"[5]. ومن ثمَّ، فإن الدلالة اللغوية اللاتينية لكلمة نقد تتمحور حول الفعل. وهذا المكون السلوكي للأصل اللاتيني، الذي ينطوي على إدراك النقد بوصفه فعلا نرى أثرًا له في تعريف فن النقد في التراث اليوناني. فإن "فن النقد في التراث اليوناني نُظر إليه على نحو كبير على أنه قدرة على التمييز والتقييم والوصول إلى قرارات"[6]. وعلى الرغم من أن تصور النقد في التراث اليوناني، بحسب المفهوم السابق، يقصره على القدرة المهيئة لإنجاز أفعال، وهي تحديدًا الوصول إلى قرارات استنادًا إلى تمييز وتقييم، فإن هذه القدرة غير منفصلة عن الفعل ذاته؛ إذ هي شرط له، وإن لم تكن بالضرورة تقود دومًا إليه. وعلى الرغم من أن رفنسو لا يعطي اهتمامًا لفحص مكون الفعل في مفهوم النقد في التراث اليوناني واللاتيني، ويُركِّز بدلًا من ذلك على المكون المعرفي التقييمي له، فإن مفهوم النقد بوصفها مرتبطًا بالفعل مهم في هذا البحث؛ لكونه يوفر أرضية كلاسيكية لتصور بلاغة الجمهور للنقد بوصفه عملية استجابة، وهو التصور الذي يقدمه هذا البحث، ويدافع عنه.

في الحقيقة، فإن مكوِّن (الفعل) في الكلمات الدالة على النقد في اللغة اللاتينية يتوافق مع دلالة الأصل اللغوي للكلمة في اللغة العربية، الذي يَعني التمييز بين الجيد والرديء واصطفاء الجيد، واستبعاد الرديء. وينطوي التمييز بالطبع على أفعال التعرُّف، والتصنيف، والتقييم، وعلى إنجاز فِعْلَي اختيار واستبعاد ناتجين عنها. ففي **كتاب العين**، أقدم معاجم العربية، يذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ؟-786م) أن:

المنارة للاستشارات
ww

" النَّقْدُ: تمييز الدراهم وإعطاؤكها إنسانًا وأخذها. والانتِقادُ والنَّقدُ: ضرب جوزة بالإصبع لعبًا، ...، وكل شيء ضربته بإصبعك كنقد الجوز فقد نقدته. والطائر ينقد الفخ أي ينقره بمنقاره. والإنسان ينقد بعينيه إلى الشيء وهو مداومته النظر واختلاسه حتى لا يُفطَن له"[7].

أول ما نلاحظه على ما أورده الخليل في معجمه التأسيسي أن المعنى المعجمي للنقد، الذي يربطه بفحص العملات المالية، لا يشتمل على المكون المعرفي التقييمي المتصل بالقدرة على التمييز بين المزيف منها والحقيقي فحسب، بل يضم كذلك مكونًا سلوكيًا، يظهر في صورة أفعال مترتبة على هذا التمييز، مثل الإبقاء والاستبعاد، والأخذ والعطاء. ويصوَّر فعل النقد في الأمثلة التي أوردها الخليل بأنه فعل حماية وإنقاذ؛ فالنقد هو الذي يقي العصفور من الوقوع في الفخ، ويحولُ بين صاحب المال والاحتيال عليه بإعطائه عملات مزورة. النقدُ وفق هذا الجذر المعجمي القديم ينطوي على مكونين: الأول معرفي تقييمي، والثاني سلوكي مؤسَّس على المعطيات المعرفية والتقييمية. وللنقد وفقًا لهذا التصور وظيفة أساسية هي مقاومة الوقوع في شَرَك مجازي (مثل قبول شخص عملة مزيفة على أنها حقيقية) أو شرك حقيقي (مثل وقوع طائر في فخ صياد).

تبدو الدلالات المعجمية لكلمة "نَقد" في الاستعمال العربي القديم وثيقة الصلة بما يُزمع هذا البحث اقتراحه على الباحثين المعاصرين. وعلى وجه التحديد، فإنه يسعى إلى تغيير وجهة النظر المستقرة لحدود النقد بما يتسق مع الدلالة اللغوية المعجمية للكلمة في الاستعمال العربي القديم، لتشمل علاوة على العمليات المعرفية المرتبطة بالتحليل والتقييم عملية أدائية هي إنتاج استجابات بليغة، محفزًا على إدراك النقد بوصفه فعلا مقاوِمًا للوقوع في شرك الخطاب.

1. 2. النقد بوصفه استجابة بليغة: من المعرفة النقدية إلى الفعل النقدي

يشير مفهوم الاستجابة البليغة إلى العلامات اللغوية وغير اللغوية التي يُنتجها الأفراد المشاركون في التواصل العمومي لمقاومة الخطابات التي تمارس تمييزًا أو عنصرية أو تلاعبًا أو هيمنة أو إقصاءً أو غيرها من أشكال إساءة استعمال الخطاب. تشمل لائحة الاستجابات البليغة كمًّا كبيرًا من العلامات تتنوع بحسب نوع التواصل، وسياقه، ووسيطه، وقيوده. ففي التواصل الحي

المنارة للاستشارات
ww

وجهًا لوجه يمكن للمشاركين إنتاج استجابات مرئية مثل تعبيرات الوجه، وحركة الجسد، ونظرات العين... إلخ، أو علامات غير لغوية مثل الهمهمة والتشويش والتصفيق...إلخ، أو علامات لغوية مثل المقاطعة والهتاف...إلخ[8].

إنني أحاج بأن غاية النقد في سياق الخطابات العمومية يجب أن تكون إنجاز أفعال action، وليس مجرد التمييز والتقييم. وأن التجلي الأهم للنقد هو الاستجابة التي يقوم بها الناقد تجاه المنقود. وهذا الطرح يُغير على نحو جذري من طريقة إدراكنا لفعل النقد، ويجعله وثيق الصلة بفعل التغيير.

تستند دعوى ضرورة إدراك النقد بوصفه استجابة بليغة على جذور دلالاته اللغوية التي بينتها سابقًا عربيًا وغربيًا. فالناقد، في الاستعمال الأصلي للكلمة، يتجاوز أفعال التعرف، والتقييم، إلى إنجاز أفعال وسلوكيات استنادًا إلى معطيات التعرف والتقييم. وإذا نظرنا مثلا إلى مفهوم النقد عند العرب القدامى نجده مرتبطًا بالتمييز بين جيد النقود وزائفها. وهو، من ثمَّ، ينطوي على عمليات معرفية وتقييمية، علاوة على أفعال مادية هي استبعاد (الرديء) واصطفاء (الجيد)[9]. فناقد الدراهم يستند إلى معرفته بمعايير النقد السليم في تقييمه للمال الذي يتداوله، ويستند إلى تقييمه في إنجاز فعل قبول النقد أو رفضه، وقد يتجاوز ذلك إلى مجازاة صاحب النقد الرديء.

انطلاقًا من إدراك الصلة الوشيجة بين المكونات الثلاثة للنقد (المعرفة، التقييم، الفعل) تقترح بلاغة الجمهور، أن معظم البشر لديهم (أو يمكن أن تكون لديهم) معرفة تمكنهم من فحص خطابات الآخرين؛ للتمييز بين ما هو سلطوي أو تحرري. ويستعملون هذه المعرفة في تقييم خطابات الآخرين، والحكم عليها. ويمكنهم، تبعًا لذلك، إنتاج استجابات بليغة تقاوم الخطابات السلطوية، وتدعم الخطابات التحررية. وتدعو بلاغة الجمهور إلى أن تصبح الاستجابة البليغة جزءًا من مفهوم نقد الخطاب.

يمكن أن يجد التصور الذي أطرحه للنقد بوصفه استجابة بليغة دعمًا من تصور ميشيل فوكو للنقد. يُعرِّف فوكو النقد بأنه فن ممارسة تغيير الذات، ومقاومة الطاعة العمياء. وعلى

المنارة للاستشارات
ww

الرغم من أن هذا التعريف يبدو غير حصري. فممارسة تغيير الذات ومقاومة الطاعة العمياء غايتان كبريان لكم وافرٍ من الأنشطة البشرية، وليستا خصيصتين مائزتين لفعل النقد في ذاته. ومع ذلك، فإن هذا التعريف يبدو مفيدًا للغاية في إطار تصور النقد بوصفه استجابة بليغة؛ فهو من ناحية يربط النقد مباشرة بأفعال تسعى إلى تغيير الذات، ومن ناحية أخرى يضع يده على بُعد مهم من أبعاد النقد هو مقاومة السلطة، بواسطة رفض الطاعة العمياء. والاستجابات البليغة في أحد وجوهها ليست إلا علامات لغوية وغير لغوية على رفض الطاعة العمياء.

إن إدراك النقد بوصفه استجابة بليغة يُكسبه قيمة إنسانية رفيعة. فحين يُصبح النقد فعلا مقاومًا للعنصرية والتمييز والتلاعب والتضليل والهيمنة والإقصاء والاستبداد الخطابي يكتسب قيمة أخلاقية مهمة، تتلاقى مع تصور فلسفي مثير للاهتمام، يُدرك النقد على أنه فضيلة بحسب المفهوم المهم الذي صاغه فوكو.

1. 3. النقد بوصفه فضيلة:

تجد بلاغة الجمهور بوصفها ممارسة نقديَّة مقوِّمة للسلوك التواصلي للمخاطَبين سندًا آخر لها في مفهوم الفضيلة virtue عند فوكو. فقد أدرك النقد بوصفه فن ممارسة تغيير الذات، ومقاومة الطاعة العمياء، على نحو ما سبق ذكره. يُنجِز النقد هاتين الوظيفتين عبر مفهوم الفضيلة، ويُصرح فوكو بوضوح أن "التوجه النقدي هو فضيلة في العموم" [10].

فما الذي كان يعنيه بالفضيلة؟ تشير جوديث بتلر Butler إلى أن الفضيلة عنده "فُهمت بوصفها صفة أو ممارسة أو موضوعًا أو خصلة تصف وتُحدد فعلاً أو ممارسة معينة[11] ". انطلاقًا من هذا الفهم تحاجُّ بتلر بأن الفضيلة عند فوكو ليست مجرد توافق مع الأعراف الراسخة أو خضوع لها، بل تحدٍّ لها. وثمة نص ملهم يربط فيه رفنسو بين تصور فوكو للنقد بوصفه فضيلة، ودوره في مقاومة الرضوخ للسلطة، مؤكدًا أن "النقد عند فوكو ليس بالتأكيد مجرد تتبع الأخطاء الخلافية، ولا هو وسيلة أو نشاط لمحو الأخطاء. النقد عنده يشبه الفضيلة، ليس فحسب من زاوية كون النقد يُدرَك على أنه توجه أو عادة، بل كذلك من زاوية كونه توجهًا أخلاقيًّا وعمليًّا يحول دون طاعة السلطة... والنقد ربما يُدرَك أيضًا بوصفه الفضيلة المعاصرة

المنارة للاستشارات

بامتياز، في عصر يدَّعي بأنه تنويري... وفي هذا السياق، يُمكن النظر إلى النقد بوصفه نهوضًا أمام تحدي المرء لنفسه، وأن يُصبح المرء مسئولاً"[12] . هذا المفهوم للنقد بوصفه فضيلة، يُمكن أن يُستثمر على نحو مهم في إطار بلاغة الجمهور، وتحديدًا فيما يتصل بتصور النقد بوصفه مساءلةً للطاعة ومقاومةً للإخضاع. فقد لاحظت بتلر أن النقد من وجهة نظر فوكو "يبدأ بمساءلة طلب الطاعة المطلقة، وإخضاع أي إكراه حكومي مفروض على الأشخاص إلى تقييم تأملي عقلاني"[13].

هذا الربط بين النقد وفضيلة عدم الخضوع لا يُقدم بوصفه فعلا مضادًا للسلطة بشكل مطلق، بل يوسم بأنه فعل عقلاني رشيد. وبحسب فوكو فإن "إرادة ألا تكون محكومًا معناها ألا تقبل كحقيقةٍ ما تقدمه لك السلطة بوصفه حقيقةً، أو على الأقل ألا تقبله على أنه حقيقة لأن السلطة تقول لك إنه حقيقة، بل تقبله فقط كحقيقة إذا كانت هناك أسباب جيدة تجعله حقيقة"[14] . تكشف عبارة فوكو عن أهمية النقد بوصفه عامل اتزان في علاقة الأفراد بخطاب السلطة. فإذا كان التجلي الأبرز للسلطة، لا سيما المستبدة منها، هو فرض الإقناع عبر ترسيخ ممارسات الإذعان، فإن النقد يصبح أداة لتحرير الأفراد من هذا الإقناع القسري، إن صحت التسمية. فبواسطة النقد يستعيد الأفراد قدرتهم على إنجاز تقييم عقلاني رشيد لخطاب السلطة، ويقبلونه أو يرفضونه استنادًا إلى هذا التقييم. وإذا نظرنا إلى المجتمعات الاستبدادية تحديدًا فإن هذا المفهوم للنقد بوصفه مقاومة للإذعان للخطاب يبدو شديد الأهمية، إذ يُمكن إعادة تشكيل الوعي الجمعي للمواطنين في هذه المجتمعات بواسطة هذا النوع من أنواع النقد التحرري.

يبدو تصور فوكو للنقد بوصفه فضيلة مقاومة الإخضاع جذابًا على نحو مُغرٍ لبلاغة الجمهور؛ خصوصًا في سعيها نحو تحدي أعراف التواصل الراسخة. إذ يمكن استثماره لوصف الاستجابات البليغة المقاومة للهيمنة والتلاعب والإخضاع في فضاءات التواصل العمومي. وتزداد أهمية دمج مفهوم فوكو للفضيلة في تصور الاستجابة البليغة، بالنظر إلى إدراكه للفضيلة بوصفها مواجهة الطاعة غير النقدية للسلطة. وبهذا المعنى، فإن الفضيلة تنطوي إما على مقاومة السلطة، أو على قبول واعٍ (نقدي) لها. وحين ننقل هذا التصور إلى فضاء مقاربة بلاغة

المنارة للاستشارات
ww

الجمهور للتواصل الجماهيري، فإن الاستجابة البليغة تُمثل أداة مقاومة الطاعة العمياء لقيود إنتاج استجابة حرة. ومن المؤكد أن مفهوم الاستجابة البليغة يقوى بواسطة التصورات الفلسفية للنقد بوصفه فعل مقاومة وتغيير. إذ تطرح بلاغة الجمهور تصورًا للنقد تُصبح فيه مهمة الناقد تغيير العالم بفضل الاستجابة البليغة، وبدلا من أن تقتصر مهمة الناقد الأساسية على فهم نظام العالم ومهاجمة نقاطه الضعيفة، تطمح بلاغة الجمهور إلى تغييره عبر التركيز على مكون الفعل النقدي[15].

تضفي بلاغة الجمهور تغييرًا آخر على حدود العلاقة بين النقد والحرية. لقد ذهب فوكو إلى أن الحرية تنشأ حين يتمكن المرء من نقد الحقيقة ومساءلتها، إذ يتشكل حينها وعي المرء بذاته وعالمه[16]. وتحاج بلاغة الجمهور بأن ممارسة الحرية تتحقق حين يتحول الوعي النقدي بسلطة الحقيقة إلى فعل تواصلي؛ أي استجابة بليغة، قادرة على دعم ما هو تحرري، ومقاومة إساءة استعمال السلطة.

2. بلاغة الجمهور والعلوم النقدية: حدود التقاطع والانفصال

لا يكاد سؤال الهوية يُفارق المعارف، فهو يطرح نفسه في بواكير نشأتها، وذُرا ازدهارها، واضمحلالها. يبدو طرح سؤال الهوية مشروعًا دومًا؛ فهويَّات المعارف ليست معطى مسبقًا، ولا كينونة ثابتة، بل تُمتحن مع كل ممارسة معرفية، وتخضع لتحولات عاصفة على أيدي الباحثين. حاججتُ فيما سبق أن بلاغة الجمهور تشترك مع تخصصات أخرى في محورية المكون النقدي في ممارساتها، وتستقل بتحديدها للنقد بوصفه فعل استجابة. وربما يقود فحص نقاط الاتصال والانفصال بين بلاغة الجمهور وهذه الحقول إلى تعزيز فهمنا لخصوصية ممارساتها النقدية.

تعرضتْ بلاغة الجمهور منذ تدشينها عام 2005 لتساؤلات شتى بشأن هويتها. فالمعارف الجديدة تُمتحن امتحانًا عسيرًا حتى تبرهن على جدارتها بأن تكون ضمن خارطة التخصصات. يمكن النظر إلى المقال المؤسِّس لبلاغة الجمهور على أنه إجابة عن سؤال ضمني يتعلق بالخصوصيات المميزة لبلاغة الجمهور، التي تعطيها هوية خاصة مقارنة بالمعارف الأخرى. عادة ما تكتسب

المنارة للاستشارات

المعارف الجديدة اعتراف المؤسسات العلمية والباحثين بها بواسطة قبول برهانها على خصوصية الأسئلة البحثية التي تطرحها، و/أو المادة التي تدرسها، و/أو المنهجيات والمقاربات وأدوات التحليل الجديدة التي تطورها، و/أو الوظائف الجديدة التي تسعى إلى إنجازها، و/أو التصورات النظرية التي تتكئ عليها. وقد حاجَّ المقال المؤسس لبلاغة الجمهور بأن الدعوة لتدشين بلاغة الجمهور محفزة باستقلالها بـ(1) سؤال بحثي خاص (العلاقة بين تشكل الخطاب وأدائه وتداوله من ناحية واستجابات الجمهور من ناحية أخرى)، و(2) مادة للدراسة (استجابات الجمهور للخطابات البليغة)، ووظيفة خاصة (نقد أشكال التلاعب بالاستجابة، وتمكين الجمهور من إنتاج استجابات بليغة). واستكمالا لرسم حدود التقاطع بين بلاغة الجمهور والمعارف ذات الصلة، أناقش فيما يأتي موقع بلاغة الجمهور بين العلوم النقدية وما يميزها عن التحليل الناقد للخطاب.

2.1. بلاغة الجمهور والعلوم النقدية عند هابرماس

لا تعني خصوصية المعارف غياب أرضيات مشتركة بينها، إذ إن الخصائص المائزة لتخصص ما لا تنفي وجود مساحات تقاطع مشتركة بينه وبين غيره. ومهما بلغت درجة استقلال تخصص بمسائله ومادته ووظائفه ونظرياته فإنه يدخل في علاقات متنوعة مع غيره من التخصصات. وقد كان الوعي بالعلاقات بين بلاغة الجمهور والمعارف المستقرة حاضرًا في المقال المؤسِّس لبلاغة الجمهور. فقد أشرتُ في سياق التعريف بالأسس النظرية التي تفيد منها بلاغة الجمهور إلى إمكانية اندراج بلاغة الجمهور ضمن حزمة المعارف النقدية وفقًا لتصنيف هابرماس[17].

أود هنا طرح تصور مغاير لما أوردتُه سابقًا بشأن إمكانية انتساب بلاغة الجمهور إلى العلوم النقدية التحررية؛ يهدف إلى اقتراح انتساب جديد لبلاغة الجمهور، يُمثل تحديًا لمشروعية الحدود الفاصلة بين العلوم الثلاثة المكونة لتقسيم هابرماس. وفي البداية سأقدم تحديدًا موجزًا لهذه العلوم، معتمدًا على الشكل الإيضاحي الذي قدمته كاروكيميس[18] :

المنارة للاستشارات

العلم	الوسيط	المعرفة	المصلحة
العلوم الطبيعية أو التجريبية أو التطبيقية	العمل	أداتية (الشرح السببي)	تقنية
العلوم التأويلية أو التأويليات	اللغة	عملية (الفهم)	عملية
العلوم النقدية	السلطة	تحررية (التأمل)	تحررية

وفقًا للشكل السابق، يفصل هابرماس بين علوم الطبيعة (العلوم التطبيقية الأداتية التي تهدف إلى الشرح السببي، ووسيطها العمل) وعلوم التأويل (العلوم العملية التي تهدف إلى إنجاز الفهم ووسيطها اللغة) والعلوم النقدية (العلوم التأملية التي تهدف إلى إنجاز التحرر، ووسيطها السلطة). ومن ثمَّ، فإن المعارف، وفقًا لهابرماس، إما أداتية أو عملية أو تحررية، لكن واقع الحال يقول بأن هذا التقسيم يفشل في استيعاب حقول معرفية مثل الوعي النقدي باللغة Critical language awareness وبلاغة الجمهور. فحقل الوعي النقدي باللغة يهدف إلى رفع وعي دارسي اللغات بما تنطوي عليه من أبعاد إيديولوجية، واجتماعية، وسياسية، ويقدم مهارات لمتعلمي اللغات، لا سيما الإنجليزية، تمكنهم من فحصها وتعرية خفاياها[19] . وهي من ثمَّ، تجمع بين هويتين؛ إحداهما تأويلية، والأخرى نقدية. وفي الوقت ذاته، تسعى إلى تحقيق مهام عملية هي تعزيز الفهم، بهدف توعية المتعلمين بإساءات استعمال اللغة.

أما في حالة بلاغة الجمهور فإن إمكانية إدراجها ضمن تقسيمات هابرماس للعلوم أصعب. فالحقل المعرفي لبلاغة الجمهور له خصائص مركبة؛ أولها كونه أداتيًا تطبيقيًا؛ إذ يهدف إلى تمكين البشر العاديين من إنتاج استجابات بليغة، تُعزز من مصالحهم في مواجهة الخطابات السلطوية. ويحقق هذه القدرة من خلال إكساب الأفراد العاديين معرفة تطبيقية، خطابية وغير خطابية، يُمارسونها في فضاءات التواصل الفعلي والافتراضي. علاوة على ذلك، فإن لبلاغة الجمهور بُعدًا تأويليًا جليًا، إذ يتطلب التمييزُ بين الخطابات السلطوية وغير السلطوية عمليات فهم مكثف للواقع اللغوي، علاوة بالطبع على أدوات نقدية متطورة. وأخيرًا، فإن هدف بلاغة الجمهور هو تحرير الجماهير من ربقة الخطابات السلطوية التي تمارس أشكالا من إساءة استعمال الخطاب، ومقاومة سطوة هذه الخطابات بواسطة إنتاج استجابات مضادة.

المنارة للاستشارات

بالنظر إلى الأبعاد السابقة من الضروري مراجعة دعوى انتساب بلاغة الجمهور إلى المعارف النقدية، لصالح تصور أوسع يُدرك الخصائص الذاتية لها، ويعترف بمساحات التقاطع بينها وبين المعارف التطبيقية من ناحية، ومساحات التقاطع الكبيرة بينها وبين المعارف التأويلية من ناحية أخرى. ومع ذلك، فلو أن الانتساب إلى المعارف السابقة يقوم على مبدأ تغليب الأقرب، فإن بلاغة الجمهور ستكون أقرب إلى الانتساب إلى دائرة المعارف النقدية، بفضل مساحة التقاطع الأكبر التي تجمع بينها وبين هذه العلوم، لا سيما ما يتعلق بغاية بلاغة الجمهور التي تتلاقى مع العلوم النقدية في مقاومة أشكال التشوه في التواصل الإنساني.

2.2. بلاغة الجمهور والتحليل الناقد للخطاب

منذ لحظة تدشينها، عُنيت بلاغة الجمهور بتحديد مساحات التقاطع والافتراق مع التحليل الناقد للخطاب فقد عَدَّته أحد أهم مرتكزاتها النظرية؛ لانشغاله بفحص العلاقة بين الخطاب والسلطة، لكنها شقت طريقًا خاصًا بها؛ لانشغالها باستجابات الجمهور، وغلبة البُعد المعياري. يمكن إيجاز نقاط التقاطع بين بلاغة الجمهور والتحليل الناقد للخطاب في أمرين هما:

أ. التشارك في الهدف المعرفي؛ إذ يهدف التحليل الناقد للخطاب إلى إنجاز وظيفة معرفية نبيلة هي فضح الظلم الخطابي، وتعرية صلته بالظلم الاجتماعي. وتتبنى بلاغة الجمهور الهدف المعرفي ذاته.

ب. الإفادة من حزمة المقاربات وأطر التحليل والإجراءات التي طورها التحليل الناقد للخطاب لدراسة العلاقة بين الخطاب والسلطة[20] ، وتطبيقها على دراسة العلاقة بين الاستجابة والسلطة.

يمكن تحديد الفرق بين بلاغة الجمهور والتحليل الناقد للخطاب في خمسة أمور، هي: مدونة الدراسة، والغاية النهائية للمعرفة، والسؤال الأساسي للعلم، والطابع المعياري لبلاغة الجمهور، والجمهور المستهدف بالمعرفة، ومفهوم النقد الذي تمارسه بلاغة الجمهور:

المنارة للاستشارات

أ. مدونة الدراسة: فحص الاستجابة بوصفها خطابًا

يدرس التحليل الناقد للخطاب مدونة شديدة الاتساع تتكون من خطابات عمومية ومؤسسية وبين-شخصية، متعددة العلامات، ومتباينة السياقات. لكنه يولي اهتمامه الأساسي لخطابات القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأكثر فاعلية وتأثيرًا. ويشمل ذلك خطابات الفاعلين في مؤسسات الحكم، لا سيما كبار السياسيين الذين حظيت خطاباتهم باهتمام استثنائي من مؤسسي التحليل الناقد للخطاب[21]. والخطابات الاقتصادية الكبرى مثل خطاب العولمة، وخطابات مؤسسات مجتمعية فاعلة مثل مؤسسات التعليم وغيرها.

هذا الاهتمام بمدونة خطاب النخب بتجلياتها المختلفة يقع في اتجاه مقابل للمدونة التي تشتغل عليها بلاغة الجمهور. فبلاغة الجمهور لا تُعنى بخطابات النخب، بل باستجابات الجمهور لها، سواء أكانت آنية أم لاحقة. لو أخذنا خطبة سياسية لرئيس وزراء مثالًا على التمييز السابق، فإن مدونة المحلل الناقد للخطاب ستكون نص الخطبة والعلامات غير اللغوية المصاحبة لأدائها، أما مدونة الباحث في بلاغة الجمهور فستكون ما يصدره الجمهور المتلقي للخطبة من علامات لغوية وغير لغوية استجابة للخطبة، سواء بشكل آني أثناء تلقيها مباشرة، أو بشكل لاحق. حين يدرس المحلل الناقد للخطاب مدونته فسوف يُعنى بفحص أشكال إساءة استعمال اللغة والسلطة في خطاب رئيس الوزراء، بواسطة دراسة كم هائل من موضوعات الخطاب (مثل اختيار المفردات، والتراكيب اللغوية، واستراتيجيات المحاججة، والمجازات، وطرق الأداء، وأدوات تمثيل الذات والآخرين...إلخ)، وربط بنية النص وتشكلات الخطاب وأداءاته بالممارسات الخطابية والاجتماعية المحيطة به.

في المقابل، فإن الباحث في بلاغة الجمهور سوف يُعنى بالاستجابات التي يُنتجها الحاضرون أثناء إلقاء الخطاب (تصفيق، هتاف، مقاطعة، استهجان، تشويش، مغادرة، إلقاء الزهور أو حبات الطماطم...إلخ) وبعد إلقائه (مثل التعليقات المكتوبة على صفحة فيسبوك، أو التفنيدات المسجلة على تويتر، أو إعادة المشاركة على يوتيوب، أو السخرية بواسطة رسم كاريكاتوري على سنابشت...إلخ). تُعنى بلاغة الجمهور، إذن، بالعلامات اللغوية وغير اللغوية التي تُنتجها شرائح

المنارة للاستشارات
ww

واسعة من المهمشين. وباختصار فإن التحليل الناقد للخطاب يُعنى بخطابات الفاعلين المحوريين، في حين تُعنى بلاغة الجمهور باستجابات الجمهور الغُفل، وتدرك الاستجابة نفسها بوصفها خطابًا.

ب. الغاية النهائية للمعرفة: من تعرية الخطاب السلطوي إلى مقاومته بالاستجابة البليغة

يمتاز التحليل الناقد للخطاب من بين كثير من العلوم الاجتماعية والإنسانية بنبل الغاية التي يسعى إلى تحقيقها. إذ يسعى إلى تعرية أشكال إساءة استعمال السلطة التي تُمارَس بواسطة الخطاب أو تتجلى عبره، بهدف التخلص منها. ومن ثمَّ، يولي التحليل الناقد للخطاب أهمية كبرى لنقد التلاعب، وتعرية الإيديولوجيا، وتتبع العنصرية والتمييز في الخطاب. ينطلق التحليل الناقد للخطاب من مسلمة أن الوعي بأشكال إساءة استعمال السلطة للخطاب خطوة مهمة للوصول إلى عالم يخلو من أشكال الظلم الاجتماعي والخطابي معًا. وفي الحقيقة فإن بلاغة الجمهور تبني على ما يقدمه التحليل الناقد للخطاب، وتأخذه إلى مدى أبعد، إذ تسعى إلى تقديم أدوات معرفية هدفها تمكين المعرَّضين للخطابات السلطوية التي تمارس أشكالا من الظلم الخطابي، وإساءة استعمال الخطاب من مقاومتها بواسطة إنتاج استجابات بليغة.

تقدِّم بلاغة الجمهور حالة غير شائعة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ إن غايتها تتجاوز المعرفة إلى الفعل. إنها معرفة موجِّهة للتصرف والسلوك، حيث التجلي الأبرز لها هو ما يقوم به حائزوها من سلوكيات خطابية على أرض الواقع. ونجاح متعلمها لا يُقاس بعمليات معرفية بل باستجابات عملية. ومن هذه الزاوية تُقدم بلاغة الجمهور مثالًا صريحًا للمعرفة المعيارية التي يتحول فيها النقد إلى ممارسة، والمعرفة إلى فعل. لتصبح غاية العلم مرتبطة بشكل حاسم بإنجاز تغييرات في استجابة متلقي الخطاب للسلطة، ومقاومة تعسفاتها، بواسطة إنتاج استجابات تدعم ما هو تحرري، وتقاوم ما هو سلطوي.

المنارة للاستشارات
ww

ت. الجمهور المستهدف بالمعرفة

كان تأسيس بلاغة الجمهور محفَّزًا بعدم وجود حقل معرفي مكرس لخدمة المخاطبين (أفرادًا أو جمهورًا). فقد سعت إلى إزالة الظلم الراسخ الذي تعرضت له أغلبية البشر ممن شكلوا جمهورًا للخطاب. ففي حين دُشنت منذ آلاف السنين علوم متطورة لتمكين المتكلمين، مثل علوم البلاغة والتواصل، لم ينشأ فرع معرفي واحد يختص بتمكين المخاطَبين. وارتأت بلاغة الجمهور أن تصحيح مسار التاريخ الظالم للجمهور يتطلب تأسيس حقل معرفي يخصهم وحدهم، يواجه حزمة العلوم المعنية المكرسة لخدمة النخب. فكان هدفها إمداد الأفراد العاديين بمعارف ومهارات تمكنهم من مقاومة الخطابات السلطوية التي يتعرضون لها، في فضاءات التواصل العمومي والمؤسسي. وحين نقارن الجمهور المستهدف في بلاغة الجمهور والتحليل الناقد للخطاب يتبدى لنا وجه آخر من وجوه خصوصيتها. إذ يتوجه التحليل الناقد للخطاب إلى الخبراء وصانعي السياسات ومراكز القرار بنتائج بحوثه؛ بهدف حفزهم على إنتاج خطابات أقل إساءة لاستعمال السلطة والخطاب. كما يتوجه بمعارفه لجمهور البشر العاديين بهدف تعريفهم بسبل التلاعب في الخطاب، وزيادة وعيهم بأشكال إساءة استعمال السلطة والخطاب. أما بلاغة الجمهور فإنها تتوجه تحديدًا لأفراد الجمهور فرادى وجماعات بهدف تدريبهم على إنتاج استجابات بليغة.

ث. خصوصيات الممارسة النقدية في بلاغة الجمهور:

تشترك بلاغة الجمهور مع التحليل الناقد للخطاب في كونهما ممارستين نقديتين للخطاب. لكن هوية النقد فيهما متباينة من عدة زوايا هي:

1. أنه نقد مركب، فهو موجه للذات بشكل أساسي بهدف مساءلة استجابة الفرد للخطاب، وتصحيحها، لكنه يستند أيضًا إلى النقد الموجه للخطاب الذي يتلقاه. ومن الجلي أن التحليل الناقد للخطاب يقتصر على النوع الثاني؛ أي النقد الموجه إلى الآخر، إذ لا يُعنى التحليل الناقد للخطاب بما بعد النقد.

المنارة للاستشارات
ww

2. أنه نقد فردي يمارس في سياقات جماعية: يُمارس النقد في بلاغة الجمهور في سياقات جماعية غالبًا، هي سياقات تلقي الخطابات العمومية أو المؤسسية، أما عملية النقد في التحليل الناقد للخطاب فينجزها الباحثون بشكل فردي غالبًا.

3. أنه يُنجَز بشكل متزامن مع تلقي الخطاب في معظم الأحيان. فهو نقد آني في مقابل النقد الممارس عقب تلقي الخطاب في إطار التحليل الناقد للخطاب؛ أي بعد انتهاء الخطاب المنقود من إنجاز أغراضه. وعلى الرغم من أهمية النقد اللاحق لتلقي الخطاب، فإن النقد المتزامن مع تلقيه والذي يتجلى في شكل استجابة بليغة إزاءه يبدو أكثر أهمية في مقاومة أثر الخطاب على المتلقين أو تعزيزه، بحسب توزع الخطاب بين السلطوي وغير السلطوي.

ج. خصوصيات الأسئلة النقدية في بلاغة الجمهور

تفرض مساءلة استجابات الجمهور طرح أسئلة نقدية غير مألوفة في المقاربات النقدية للخطاب، نتيجة خصوصية استجابات الجمهور مقارنة بالخطابات العمومية أو الخاصة المعتادة. من أهم هذه الأسئلة:

1. **مخاطر أصالة المدونة المدروسة:** تدرس المقاربات النقدية التقليدية، مثل دراسات التحليل الناقد للخطاب والبلاغة النقدية والدراسات الثقافية وما بعد الكولونيالية وغيرها، خطابات شديدة التنوع، قد تكون نتاجًا فرديًا (مثل روايات كبلنج العنصرية)، أو جماعيًا (مثل أفلام هوليود المنمِّطة للشخصية العربية)، وقد تُنسب إلى أفراد (مثل تغريدات ترامب) أو مؤسسات (مثل بيان الخارجية الأمريكية بشأن نقل السفارة الإسرائيلية إلى القدس). هذه الخطابات على تنوعها تشترك في أنها أصيلة الانتساب إلى الفرد أو المؤسسة المنسوبة إليه. فتغريدات ترامب هي تغريدات ترامب، ما لم يحدث شكل من أشكال الاختراق، ينتج عنه وضع تغريدات على حساب ترامب لم يقم هو بكتابتها، وهو أمر ضعيف الاحتمال، وقابل للاستدراك بسهولة. بالطبع فإن أمر تأكيد الأصالة أسهل في بقية الأنواع الممثَّل لها سابقًا. فالروايات والأشعار

المنارة للاستشارات

والمقالات والإعلانات والتقارير ...إلخ، تنتمي إلى من يضع اسمه تحتها، ما لم يُنص على غير ذلك. بالطبع فإن من ينتسب إليه النص قد لا يكون مؤلفه في كثير من الأحوال، فمعظم النصوص والخطابات العمومية الآن تعرف شكلا أو آخر من أشكال الكاتب الخفي. لكن نسبة الأعمال إلى الأفراد والمؤسسات التي تحمل اسمها نهائي، بغض النظر عن عملية تأليفها نفسه.

الأمر مختلف على نحو جذري في حالة استجابات الجمهور. ففي حين تسهل نسبة الاستجابات المنتجة في الفضاءات الواقعية إلى أصحابها إلى حد كبير، فإن الاستجابات المنجزة في الفضاءات الافتراضية عصيَّة على التدقيق. من هنا ينشأ تحدي التحقق من الأصالة؛ أي من مصداقية نسبة استجابة ما إلى من تنتسب ظاهريًا له. تزداد وطأة هذا التحدي بسبب أمرين: الأول أن الفضاءات الافتراضية تعج بالشخصيات الوهمية التي تُنتج استجابات تبدو عفوية وطبيعية لكنها مُهندسة ومرتبة على نحو مقصود. والثاني أن كثيرًا من الاستجابات التي تبدو فردية هي نتاج تنظيم جماعي، على نحو ما تقوم به الجيوش أو المليشيات الإلكترونية. وينتج عن ذلك وجود كم هائل من الاستجابات المزيفة التي تفتقد الأصالة على نحو واضح.

تضع الاستجابات المزيفة تحديات شتى أمام الباحثين في بلاغة الجمهور. إذ إن نتائج هذه الدراسات قد تتشوه على نحو خطير بسبب ضعف التدقيق في أصالة الاستجابات المدروسة. لذا يتعين التحقق من هذه الاستجابات؛ لضمان أكبر قدر من الأصالة، واستبعاد الاستجابات التي تبدو منظمة ومهندسة على نحو مسبق. ويستلزم هذا طرح أسئلة معرفية نقدية جديدة تتصل بفحص درجة أصالة استجابات الجمهور، وتطوير إجراءات نقدية مميزة يمكن من خلالها التمييز بين الاستجابات العفوية الأصيلة والاستجابات المصنوعة.

لقد سبق أن واجهتُ مشكل الأصالة في دراسة الاستجابات في سياقات التواصل الحي أثناء دراسة استجابة التصفيق في فضاء التواصل السياسي العربي الفعلي. فكثير من استجابات التصفيق تكون معدة وفق سيناريو مسبق يطبقه بعض الجمهور المشارك في تلقي الخطبة. علاوة على أن بعض الاستجابات مقيد بأشكال من القهر المسبق الذي يدفع الجمهور إلى إنتاج

المنارة للاستشارات
ww

استجابات بعينها، واستبعاد أخرى، بغض النظر عن موقفه الشخصي مما يستمع إليه. ومن ثمَّ تُنتج استجابات مزيفة في الحالتين، يمكن أن تؤدي دراستها إلى نتائج مزيفة بدورها. ويقع على الباحثين عبء تطوير أسئلة وإجراءات تتصدى لمأزق أصالة الاستجابة من منظور نقدي، ويحتاج هذا إلى معالجة معمقة.

2. مخاطر فعل الاستجابة البليغة

لقد تلقيت في سياقات شتى انتقادات تتعلق بالاستجابات البليغة التي أدعو إلى إمداد الجمهور بمعارف تمكنه من إنتاجها، وأحفزه على القيام بها في سياقات التواصل العمومي. فإذا كانت بلاغة الجمهور تستهدف تعزيز أفعال المساءلة والنقد فإنها يجب أن تمارس ذلك على ذاتها قبل أي شيء "بدون نقد ذاتي كافٍ، يتحول العقل إلى أداة في يد الدوجما التي هي ذاتها استبداد despotics"[22].

واحد من هذه الانتقادات يتصل تحديدًا بمخاطر انفلاتها، وخشية أن تتحول هذه الاستجابات إلى أفعال عشوائية، غير منضبطة، بما ينسجم مع التصور اللوبوني[23] لسلوك الحشود الغوغائية. إن الدعوة إلى حرية الاستجابة قد تؤدي إلى أشكال لا حصر لها من انتهاك الأعراف والقوانين والتقاليد؛ أي انتهاك أدوات المحكومية نفسها، لكن بلاغة الجمهور في الحقيقة لا تدعو إلى هذا الانتهاك الجذري لأعراف الاستجابة وتقاليدها، بل تمهد الطريق للاستجابات الرشيدة التي تتوافق مع الأعراف والتقاليد السائدة حين تدعم تواصلاً حرًّا خاليًا من التشوه، وتخالف هذه الأعراف حين تؤسس لتواصل قهري أو تلاعبي.

قائمة المصادر والمراجع

- الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله (ت 231هـ). **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود محمد شاكر، المدني - جدة.

- عبد اللطيف، عماد. (2005). "بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، ضمن **السلطة ودور المثقف**، جامعة القاهرة، ص 36-7.

المنارة للاستشارات

- عبد اللطيف، عماد. (2012). **استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي**. الهيئة العامة للكتاب، القاهرة؛ وعبد اللطيف، عماد. (2013). **بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة**. دار التنوير، بيروت-القاهرة، تونس.

- عبد اللطيف، عماد. (2017). "ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟"، ضمن **بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات**. تحرير صلاح الحاوي، وعبد الوهاب الصديقي، نشر دار شهريار، العراق، ص 15-45.

- عبد اللطيف، عماد. (2017). "ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟"، ضمن **بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات**. تحرير صلاح الحاوي، وعبد الوهاب الصديقي، نشر دار شهريار، العراق، ص 15-45.

- عبد اللطيف، عماد. **البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات**. دار كنوز المعرفة، عمّان.

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (ت 175هـ؟). **كتاب العين**. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال، ج 5.

-Butler, J. (2002). What is Critique? An Essay on Foucault's Virtue محمل من الرابط التالي: https://f.hypotheses.org/wp-content/blogs.dir/744/files/2012/03/butler-2002.pdf ، تاريخ الدخول 2021/5/12.

-Carr, W. & Kemmis, S. (1986). *Becoming critical: Education, knowledge, and action research*. Philadelphia, PA: Falmer.

-Fairclough, N. (2014). *Critical Language Awareness*. Routledge.

-Foucault, M. (1997). *The politics of truth*. New York: Semiotext.

-Kant, I. (1998). Critique of Pure Reason. *Trans. and eds. Paul Guyer and Allen Wood. Cambridge: Cambridge University Press*.

-Raffnsøe, S. (2017). What is critique? Critical turns in the age of criticism. *Outlines. Critical Practice Studies*, *18*(1), 28-60.

المنارة للاستشارات

الهوامش والإحالات:

1 - وردت عبارة كانط في هامش مقدمة كتاب نقد العقل الخالص، "ربما يكون عصرنا هو عصر النقد، ويجب أن يخضع للنقد كل شيء Our age is properly the age of critique, and to critique everything must submit."، انظر، Kant, I. (1998). Critique of Pure Reason. *Trans. and eds. Paul Guyer and Allen Wood. Cambridge: Cambridge University Press.*، ص 8.

2 - نُقلت الأعمال الثلاثة إلى العربية في أكثر من ترجمة.

3 - انظر، Raffnsøe, S. (2017). What is critique? Critical turns in the age of criticism. *Outlines. Critical Practice Studies, 18*(1), 28-60، ص 35.

4 - رفنسو (2017)، مرجع سابق، ص 36.

5 - نفسه، ص 36.

6 - نفسه، ص 36.

7 - انظر، الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (ت 175هـ؟). **كتاب العين**. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال، ج 5، ص 118-119.

8 - انظر، عبد اللطيف، عماد. (2005). "بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، ضمن **السلطة ودور المثقف**، جامعة القاهرة، ص 36-7، ص 21. وللاطلاع على قائمة شاملة للاستجابات البليغة، انظر، عبد اللطيف، عماد. (2017). "ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟"، ضمن **بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات**. تحرير صلاح الحاوي، وعبد الوهاب الصديقي، نشر دار شهريار، العراق، ص 15-45، ص24.

9 - انظر، الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله (ت 231هـ). **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود محمد شاكر، المدني - جدة، ص 7. وعبد اللطيف، عماد. **البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات**. دار كنوز المعرفة، عمّان، ص 355-356.

10 - انظر، Foucault, M. (1997). *The politics of truth*. New York: Semiotext, p25.، وكذلك:
Butler, J. (2002). What is Critique? An Essay on Foucault's Virtue محمل من الرابط التالي: https://f.hypotheses.org/wp-content/blogs.dir/744/files/2012/03/butler-2002.pdf، تاريخ الدخول 2021/5/12، ص 3.

11 - بتلر، 2002، مرجع سابق، ص 6.

12 - انظر، رفنسو، مرجع سابق، ص 50.

13 - بتلر، 2002، مرجع سابق، ص 9.

14 - فوكو، مرجع سابق، ص 31.

15 - مرجع سابق، ص 85.

16 - فوكو، مرجع سابق، ص 46.

17 - انظر، عبداللطيف، مرجع سابق، 2005. ص 32.

المنارة للاستشارات
ww

18 - انظر، Carr, W. & Kemmis, S. (1986). *Becoming critical: Education, knowledge, and action research*. Philadelphia, PA: Falmer، ص 136.

19 - للتعريف بحقل الوعي النقدي باللغة أقترح الرجوع إلى أحد أهم ما كُتب فيه، وهو دراسة فيركلوف الشهيرة: Fairclough, N. (2014). *Critical Language Awareness*. Routledge.

20 - انظر، عبد اللطيف، عماد. (2012). **استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي**. الهيئة العامة للكتاب، القاهرة؛ وعبد اللطيف، عماد. (2013). **بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة**. دار التنوير، بيروت-القاهرة، تونس.

21 - يستطيع المتابع لأعمال مؤسسي التحليل الناقد للخطاب مثل نورمان فيركلف وتوين فان دايك وبول شيلتون إدراك الاهتمام الكبير الذي أولوه لخطابات كبار السياسيين، إذ تكاد جل أعمالهم تُعنى بخطابات سياسيين بارزين.

22 - نقلا عن رفنسو، مرجع سابق، ص 38.

23 - صاغ جوستاف لوبون في كتابه الشهير سيكولوجية الحشود نظرية للسلوك الجمعي للحشود في الفضاءات العامة تربطها بغياب العقلانية والاستسلام لقوة الغرائز والانقياد والعنف. وتبدو بلاغة الجمهور من هذه الزاوية رد فعل مضاد لتصورات لسيكولوجية الحشود، إذ تحاجُّ بأن الحشود تتصرف بشكل رشيد في معظم الأحيان، بما يخدم مصالحها إن هي أدركت نفسها بوصفها جماعة، وأنه يقع على عاتق بلاغة الجمهور تقديم المعرفة الضرورية لترشيد استجاباتها وسلوكياتها لتخدم مصالح نبيلة. لتحليل مفصل لدعاوى بلاغة الجمهور المضادة لتصور لوبون للجماهير يمكن الرجوع إلى: عبد اللطيف، (2017)، مرجع سابق، ص 37-39.

المنارة للاستشارات
ww